الكلام الجديد

المؤلف: الدكتور حسن يوسفيان

التعريب: محمدحسن زراقط
المراجعة: الدكتور مسعود فكري

طهران
٢٠١٧ م

الفهرس

العنوان	الصفحة
المقدّمة	١
الفصل الأوّل: الدين والدراسات الدينيّة	٥
تعريف الدين	٦
١. تصنيف تعريفات الدين (من وجهة نظر شموليّة)	٧
٢. تعريف الدين بالاعتماد على نظرية التشابه العائلي	١٢
٣. الدين والأسئلة الإنسانية الكبرى	١٤
فلسفة الدين والكلام الجديد	١٦
١. الكلام (اللاهوت) الفلسفي	٢٠
٢. علم الأديان (الدراسات الدينيّة)	٢١
خلاصة الفصل	٢٢
أسئلة أجاب عنها الفصل	٢٤
مقترحات بحثية	٢٥
الفصل الثاني: منشأ الدين	٢٦
نظريّات في تفسير نشأة الدين	٢٧
١. الخوف من الحوادث الطبيعيّة	٢٧
٢. الجهل بعلل الظواهر	٣٢
٣. العقد النفسيّة	٣٦
٤. الاغتراب عن الذات	٤٥
٥. الرغبة في حفظ الانسجام الاجتماعيّ	٥٠
٦. الوحي، والعقل والفطرة	٥٥
خلاصة الفصل	٥٨

العنوان	الصفحة
أسئلة أجاب عنها الفصل	٥٩
مقترحات بحثيّة	٦٠
الفصل الثالث: إثبات وجود الله	٦٢
براهين إثبات وجود الله	٦٦
١. البرهان الوجودي	٦٧
٢. برهان الصدّيقين	٧٣
٣. البراهين الكونيّة	٧٨
٤. برهان النظام	٨٩
٥. برهان الفطرة	٩٨
٦. البراهين الأخرى	١٠٥
خلاصة الفصل	١٠٩
أسئلة أجاب عنها الفصل	١١٢
مقترحات بحثية	١١٤
الفصل الرابع: صفات الله	١١٦
تعدّد أبعاد البحث في صفات الله	١١٧
١. اتّصاف الله بالصفات	١١٧
٢. العلاقة بين الذات والصفات	١١٩
٣. إمكان معرفة صفات الله	١٢٤
٤. الطريق إلى معرفة صفات الله	١٢٥
٥. صفات الله وصفات الإنسان (مقارنة معنويّة)	١٢٨
٦. الانسجام الداخليّ والخارجيّ	١٢٩
الانسجام الداخليّ بين صفات الله	١٣٠
١. مفارقة (بارادوكس) القدرة المطلقة!	١٣٣
٢. تحدّيات العلم الشامل والأزليّ	١٣٧
٣. عدم التغيّر، كمال أم نقص؟	١٤٣
خلاصة الفصل	١٤٧
أسئلة أجاب عنها الفصل	١٤٨
مقترحات بحثية	١٤٩

العنوان	الصفحة

الفصل الخامس: موقع الشرور في نظام الخلق	١٥١
إنكار وجود الشرّ، أو إنكار صفات الله؟	١٥٣
انسجام الشرور مع وجود الله في الأديان التوحيديّة	١٥٧
١. الشرّ عدمٌ	١٥٧
٢. نسبيّة الشرّ	١٦٠
٣. التلازم بين الشرّ والخير	١٦٢
٤. الشر أداة للتكامل البشريّ	١٦٨
خلاصة الفصل	١٧١
أسئلة أجاب عنها الفصل	١٧٢
مقترحات بحثيّة	١٧٤
الفصل السادس: الحاجة إلى الدين	١٧٥
مبرّر الحاجة إلى الدين الوحياني	١٧٧
تلبية الدين الحاجات النفسية الأصيلة	١٨٠
١. إضفاء المعنى على الحياة	١٨٢
٢. ريّ العطش إلى الخلود	١٨٥
٣. رفع القدرة على الصبر والتحمّل	١٨٧
٤. التخفيف من القلق والاضطراب	١٩٠
٥. النجاة من دوّامة الوحدة	١٩٠
الوظيفة الاجتماعيّة للدين	١٩١
١. تحقيق الوحدة والتضامن	١٩٣
٢. تأمين القسط والعدالة	١٩٦
٣. ضمان النشاط والحيوية	١٩٧
٤. دعم الفضائل الأخلاقيّة	٢٠٠
٥. تنظيم العلاقات الاجتماعيّة	٢٠٢
توقّعات الإنسان من الدين	٢٠٥
خلاصة الفصل	٢٠٩
أسئلة أجاب عنها الفصل	٢١٠
مقترحات بحثية	٢١١

العنوان	الصفحة

الفصل السابع: لغة الدين	٢١٢
لغة الوحي	٢١٤
١. تأثير ثقافة العصر	٢١٥
٢. الدين واللغة الرمزيّة	٢١٩
٣. الحاجة إلى التأويل	٢٢٥
لغة الإنسان وصفات الله	٢٢٧
١. اللاهوت السلبيّ	٢٢٨
٢. الاشتراك المعنوي	٢٣٠
٣. الإسناد التشبيهي (Analogical predication)	٢٣٤
معنى القضايا الدينيّة	٢٣٧
خلاصة الفصل	٢٤١
أسئلة أجاب عنها الفصل	٢٤٢
مقترحات بحثيّة	٢٤٣
الفصل الثامن: العقل والوحي	٢٤٤
وقفة اصطلاحيّة	٢٤٦
١. العقل والوحي	٢٤٦
٢. العقل والدين	٢٤٨
٣. الدين والفلسفة	٢٤٩
٤. العلم والدين	٢٥١
تعدّد المقاربات لمسألة «العقل والوحي»	٢٥٢
١. العقلانيّة	٢٥٣
٢. النزعة الإيمانيّة	٢٦٠
٣. النصيّة	٢٦٤
خلاصة الفصل	٢٧٠
أسئلة أجاب عنها الفصل	٢٧١
مقترحات بحثيّة	٢٧٢

العنوان	الصفحة

الفصل التاسع: التجربة الدينيّة ٢٧٥
أسباب المقاربة التجريبيّة للدين ٢٧٧
١. ضعف النظم الفلسفيّة في الدفاع العقلانيّ عن التعاليم الدينيّة ٢٧٨
٢. نقد الكتاب المقدّس ٢٧٨
٣. المواجهة مع الأديان الأخرى ٢٨٠
٤. مجاراة العلم التجريبيّ ٢٨١
٥. محوريّة الإنسان بدل محوريّة الله ٢٨٢
٦. التحليل المادّي للظواهر الماورائيّة ٢٨٢
تصنيف التجارب الدينيّة ٢٨٣
١. التجارب الحسّيّة (شبه الحسّيّة) وغير الحسّيّة ٢٨٤
٢. التجارب الدينيّة والتجارب التفسيريّة ٢٩٠
٣. التجارب المعرفيّة والمحيية ٢٩١
طبيعة التجربة الدينيّة ٢٩٣
المقاربة التجريبيّة للوحي في الإسلام ٢٩٥
تفسير التجربة الدينيّة وحدود الإنسان ٢٩٦
خلاصة الفصل ٣٠١
أسئلة أجاب عنها الفصل ٣٠٢
مقترحات بحثيّة ٣٠٤

الفصل العاشر: التعدّديّة الدينيّة ٣٠٥
نظريّات في حقّيّة الأديان ونجاة أتباعها ٣٠٦
١. الحصريّة (Exclusivism) ٣٠٧
٢. الشموليّة (Inclusivism) ٣٠٩
٣. التعدديّة (Pluralism) ٣١١
أنواع التعدديّة الدينيّة ٣١٤
١. التعدّديّة في السلوك ٣١٤
٢. تعدّديّة سبل النجاة والفلاح ٣١٦
٣. تعدّديّة الحقّ ٣١٨

العنوان	الصفحة
الأدلّة الفلسفيّة ـ الكلاميّة للتعدّديّة الدينيّة	٣٢٢
١. نسبيّة الحقيقة	٣٢٣
٢. حدود الإدراك البشريّ	٣٢٥
٣. شمول الرحمة والهداية الإلهيّة	٣٢٨
التعدّديّة الدينيّة الداخليّة (تنوّع القراءات)	٣٣١
خلاصة الفصل	٣٣٤
أسئلة أجاب عنها الفصل	٣٣٦
مقترحات بحثيّة	٣٣٧
الفصل الحادي عشر: الدين في المجتمع	٣٣٩
وقفة اصطلاحيّة	٣٤٠
١. العلمانيّة والعلمنة	٣٤١
٢. اللائيكيّة ولائيسيزاسيون	٣٤٧
٣. العلمانيّة	٣٤٧
المستندات الفكريّة للعلمانيّة	٣٤٨
١. الإنسانويّة (هيومانيسم)	٣٤٩
٢. العقلانيّة (Rationalism)	٣٥٤
٣. الليبراليّة/ التحرّريّة	٣٥٦
الدين والسياسة في الإسلام	٣٥٧
١. مجال الدين وحدوده؟ ديني أم غير ديني؟	٣٥٩
٢. نبيّ الإسلام وتشكيل الدولة	٣٦٢
٣. الدين والسياسة في الآيات والروايات	٣٦٤
خلاصة الفصل	٣٦٨
أسئلة أجاب عنها الفصل	٣٧٠
مقترحات بحثيّة	٣٧١
ملحق: كلامٌ في الليبراليّة	٣٧٣
الفصل الثاني عشر: الدين والأخلاق	٣٧٧
حاجة الأخلاق إلى الدين	٣٧٩

العنوان	الصفحة
١. في تعريف المفاهيم	٣٨٠
٢. صدق القضايا	٣٨١
٣. في كشف القضايا	٣٨٨
٤. في التحقّق العمليّ	٣٨٩
مساعدة الأخلاق للدين	٣٩١
البرهان الأخلاقي لإثبات وجود الله	٣٩١
الاختلاف المدّعى بين الدين والأخلاق	٣٩٣
١. ضعف أسس الأخلاق لصعوبة التبرير العقلاني للدين	٣٩٥
٢. العلم الإلهي المسبق، وتدمير الأخلاق	٣٩٦
٣. الدين وتأسيس الأخلاق التجاريّة	٣٩٧
٤. ثبات الأخلاق الدينيّة وتغيّر العالم	٣٩٩
٥. قلّة اهتمام الأخلاق الدينيّة بكرامة الإنسان	٤٠١
٦. الدين وترويج أخلاق العبوديّة	٤٠٢
خلاصة الفصل	٤٠٨
أسئلة أجاب عنها الفصل	٤١٠
مقترحات بحثيّة	٤١١
المصادر	٤١٤

المقدّمة

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـــذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أنْ هَدَانَا اللهُ.[1]

هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القرّاء المحترمين هو كتاب معدٌّ للتدريس وهو يعتمد على الطريقة البحثيّة في تحصيل المطالب التي يتصدّى لها، وموضوعه هو علم الكلام الجديد (فلسفة الدين). وما عُرِف بين المسلمين، بعلم الكـــلام علـــى الأقلّ في القرن الثاني الهجريّ،[2] هو علم يتولّى شرح المعتقدات الإسلاميّة وإثباتهـــا والدفاع عنها. وقد أخذ هذا العلم أسماء أخرى[3] غير اسم علم الكلام مثل: «الفقه الأكبر»[4] في مقابل الفقه الأصغر الذي يتولّى بيان التكاليف العملية وكلّ ما يرتبط

---

١. سورة الأعراف (٧): الآية ٤٣.

٢. يرى بعض الباحثين أنّ مصطلح «الكلام» بدأ استعماله في عصر النبيّ (صـــلى الله عليـــه وآله)؛ وذلك بالاستناد إلى بعض الأخبار التي وردت فيها هذه الكلمة (انظر: محمد عبـــد الحليم، «كلام قديم»، الترجمة الفارسيّة: محسن جهانگيرى، دراسة منـــشورة في: *تـــاريخ فلسفه اسلامى*، بإشراف السيد حسين نصر، ج ١، ص ١٣١-١٣٣).

٣. انظر: نصير الدين الطوسي، *تلخيص المحصل*، ص ١؛ ابن ميثم البحراني، *قواعد المـــرام في علم الكلام*، ص ٢٠؛ سعد الدين التفتازاني، *شرح المقاصد*، ج ١، ص ١٦٤؛ عبد الرزاق اللاهيجى، *شوارق الإلهام*، ص ٦.

٤. الأمر الذي فعله اثنان من متقدّمي فقهاء أهل السنّة هما: أبو حنيفة (ت ١٥٠هـ) ومحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ)، إذ عنونا كتابيهما في العقيدة بعنوان: *الفقه الأكبر* (انظر: علي القاري القادري، *شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة*؛ محمد بن يسن بـــن عبـــدالله، *الكوكب الأزهر شرح الفقه الأكبر للإمام الشافعي*). هذا وتجدر الإشـــارة إلى الـــشكّ في صحّة نسبة هذين الكتابين إلى أبي حنيفة والشافعي (انظر: حاجي خليفة، *كشف الظنـــون عن أسامي الكتب والفنون*، ج ٢، ص ١٢٨٧-١٢٨٨؛ علي سامي النشار، *نشأة الفكـــر الفلسفي فى الإسلام*، ج ١، ص ٢٣٨).

بفروع الدين، كما عُرِف بـ «علم التوحيد والصفات»، و«علم أصول الدين»، وهذه التسميات المتعدّدة تكتسب مبرّرها من الموضوعات التي يعالجها هذا العلم وهي البحث في العقيدة الإسلامية، و«أصول الدين»، وعلى رأسها مسألة التوحيد وصفات الله تعالى.

وقد ذكر الباحثون في هذا العلم والمؤرّخون له، وجوهًا عدّة لتسميته بالاسم الأكثر شهرة «علم الكلام» ومن هذه الوجوه ما يأتي:

أ) إنّ الكتب الكلامية الأولى التي دوِّنت في هذا العلم كانت تبتدئ مباحثها بعبارة: «الكلام في...» فكانوا يجعلون هذه العبارة مؤشّرًا يدلّ على بداية مبحث جديد.[١]

ب) إنّ البحث في كلام الله وقدمه وحدوثه، كان من أهمّ مباحث هذا العلم وأوّلها وأكثرها إثارة للجدل والنقاش.

ج) إنّ تحصيل هذا العلم يُكْسِب صاحبه القدرة على الكلام في أمور العقيدة.

د) مسائل هذا العلم والنتائج التي يتوصّل إليها العلماء فيه تتّصف بالقوّة والمتانة فكأنّها هي الكلام لا غير.

هـ) الرأي الخامس الذي يمكن أن يُشار إليه في سبب التسمية هو أنّ علماء الدين حاولوا التأسّي بالفلاسفة، فكما أنّ الفلاسفة كان لهم «المنطق» الذي يعدّ مقدّمة للفلسفة ومنطلقًا لها، اختاروا أن يكون لهم علم يشبه المنطق في اسمه وآثاره، فكما أنّ المنطق يعطي طالب الفلسفة القدرة على البحث والتكلّم في العقليات كذلك الكلام يعطي متعلّمه القدرة على الكلام والبحث في الشرعيّات.[٢]

---

١. تلاحظ هذه السمة في الكتب التي دوِّنت في القرن الرابع الهجري: أبو الحسن الأشعري، *الإبانة عن أصول الديانة*؛ الأشعري، *اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع*؛ القاضي أبو بكر الباقلاني، *تمهيد الأوائل*؛ القاضي عبد الجبار المعتزلي، *المغني*.

٢. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، *الملل والنحل*، ج ١، ص ٣٠؛ القاضي عضد الدين الإيجي، *المواقف*، ص ٨-٩؛ سعد الدين التفتازاني، *شرح المقاصد*، ج ١، ص ١٦٤- ١٦٥؛ التفتازاني، *شرح العقائد النسفية*، في: *حاشية الكستلي على شرح العقائد*، ص ١٥. وانظر أيضًا: عبد الرحمان بن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، ج ١، ص ٤٩٧.

وقد بدأ العلماء والباحثون في عصرنا هذا بإضافة صفة «جديد» على علم الكلام ما ولّد هذه العبارة: «علم الكلام الجديد». وسوف نشرح المقصود من هذا التركيب المستجدّ، ونبيّن الفرق بين علم الكلام هذا، وبين مفاهيم قد تبدو على صلة به مثل: «فلسفة الدين»، أو «اللاهوت الفلسفي» (علم الكلام الفلسفيّ)، وذلك في الفصل الأوّل من هذا الكتاب.

وبعد ما قدّمناه عن تعريف المصطلح نرى من المناسب أن نبدأ في الكلام على خصوصيّات هذا الكتاب وسماته، وتقديم بعض التوصيات التي تهدف إلى حسن الاستفادة منه فنلفت عناية القارئ الكريم إلى مجموعة من الملاحظات:

١. لا نبتغي من تدوين هذا الكتاب تدوين كتابٍ تعليميٍّ في هذه المادة الدراسيّة فحسب؛ بل نهدف إلى الإسهام في البحث العلميّ في هذا الموضوع، ومحاولة أقلمته بعد أن اصطبغ البحث فيه بصبغةٍ غربيّةٍ.

٢. تجتمع في فصول هذا الكتاب سمتان هما: الاختصار والشمول؛ بحيث يرى القارئ في طيّات الأبحاث المطروحة في هذا الكتاب ما لا يراه في كتب ودراسات مفصّلة. وقد أدّى الجمع بين الاختصار والشمول في هذا الكتاب إلى صعوبة مطالعة الكتاب للقرّاء من الطلاب الجامعيّين وبخاصّة أولئك الذين لا يميّزون بين الكتاب التعليميّ وبين كتاب التعلّم الذاتي. وقد التزمنا بالجمع بين هاتين السمتين «شمول البحث» و«اختصار القول»، حتّى في المباحث الفرعيّة والهامشيّة؛ فسوف يلاحظ القارئ الكريم أنّ بعض الهوامش في الحاشية أو بعض النصوص الموضوعة في إطارٍ في ثنايا بعض الدروس، هي حصيلة ساعات من البحث مع الاستفادة من البرامج الإلكترونية المتخصّصة.

٣. سعينا قدر الإمكان لأن نحيل القارئ إلى الكتب المصنّفة من الطبقة الأولى. وقد راعينا في الإحالة من لا يعرف اللغة العربية أو غيرها فأحلنا إلى جانب الكتاب الأصلي إلى ترجمته الفارسيّة، مع الإشارة هنا إلى أنّ الإحالة إلى الترجمة لا تعني بالنسبة لنا تأييد الترجمة أو الموافقة عليها.

٤. نهدف من وراء المطالب التي جعلناها في إطارات مربعة في بعض الدروس إلى تشجيع الطلاب على المشاركة وتفعيل نشاطهم العلميّ. فهذه النصوص تشير أحيانًا إلى نقطة تكميليّة، وقد تكون في بعض الحالات استطرادًا، وفي حالات أخرى قد يكون الهدف منها تعميق المعرفة بما ورد في المتن. وما نتوقّعه من الأساتذة الكرام الذين يستخدمون هذا الكتاب كمقرّرٍ دراسيٍّ أن لا يمرّوا على هذه الموادّ دون الاهتمام بها. أضف إلى ذلك أنّ هذه المواد تضفي على مطالب الكتاب مرونةً؛ إذ تعطي المدرّس فرصة الاستغناء عن بعض المطالب أو تكليف الدّراسين بمتابعتها بشكلٍ شخصيٍّ.

٥. يحتاج تدريس هذا الكتاب إلى وقت يعادل أربع وحدات تعليمية على الأقلّ. ولكن يمكن للأساتذة تقدير غير ذلك بحسب المرحلة الدراسيّة التي يستخدم فيها هذا الكتاب، وبحسب الخبرة الذاتية المسبقة للطلاب.

وفي الختام أرى من واجبي أن أقدّم الشكر لكلّ من أسهم في ظهور هذا العمل وإنجازه، وبخاصّة الدكتور أحمد أحمدي، والدكتور محمود فتحعلي، اللذين استفدت كثيرًا من ملاحظاتهما البنّاءة. كما كانت لمتابعة السيد أبي الفضل الحسني، مدير قسم تدوين الكتب الدراسيّة في «مؤسسه آموزشي وپژوهشي امام خمينى» (مؤسسة الإمام الخميني التعليميّة والبحثيّة)، وزملائه الكرام، كما للمسؤولين المحترمين في مؤسسة «سمت» (سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى دانشگاهها [مؤسسة دراسة وتدوين الكتب الجامعية للعلوم الإنسانية]) حقّ الشكر والامتنان الوافرين على الجهود التي بذلوها في سبيل إنجاز هذا العمل.

وقد طالت مدّة تأليف هذا الكتاب خمس سنوات ولو مع شيء من التوقّف الطويل أحيانًا. وقد عدّ نصف الكتاب تقريبًا (خمسة فصول من فصوله الاثني عشر) البحث الأفضل في موضوعه عام ١٣٨٣هـ.ش، من قبل مؤتمر الباحثين في الأديان في إيران (كنگره دين‌پژوهان كشور).

وآخِر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

حسن يوسفيان